باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه عيناً في المعارف والمباحث للفهم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما ندرج فيه على اصحابه ونحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما في (١) المناظر والدليل مشتقان من اصل واحد فناظرك دليلك (٢) اي الغرض من المناظرة ان يوصل الى الحقيقة. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف اغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. المقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

نكبة البرامكة

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

استميحكم العذر في اذ اعود الى الحديث عن قصة العباسة ولو اني اضنّ بصفحات المقتطف الاغر ان تشغل برد ود تعوزها الاناة ويهيجها خوف المنتقد ان ينتقضهُ النقد لاني اجد في اهمية الموضوع التاريخي ما يشفع لي في محاولة الكتابة فيهِ

انهمني المنتقد — عافاهُ الله — باني انتقدت روايتهُ وان ذلك كان مني قبل قراءتها لانهُ لم يعرضها للتداول الاّ بعد ردي. وانا احدثهُ عن نفسي ان كان لا يستطيع قراءة ما كتبت واؤكد لهُ ان روايتهُ لم تخطر ببالي ولا فكرت فيها ولا كانت مني على ذكر مطلقاً وقد صرحت في اول سطر من كتابتي اني انتقد ما كتبهُ في مقتطف يوليو بعد تعليقكم على روايتهِ وانا انما انتقد حادثة تذكر في تعليل مأساة كبرى من فواجع التاريخ الاسلامي دعيت نكبة البرامكة قبل ان يسمي هو روايتهُ بهذا الاسم فليطمئن بال المنتقد وليعد معي الى الموضوع التاريخي الذي اجادلهُ فيهِ الآن باعتباره احد دارسيهِ ولو لم يؤلف روايته

لقد اخذ المنتقد من تكذيبي حادث العباسة اني اتهم المؤرخين بالكذب والنفاق بعد ما عبتُ عليهِ اتهامهم بالاغراق والمغالاة واخذ عليّ من هذا التكذيب اني « مغرض » تعمل بي الاهواء واني آخذ من التاريخ ما يوافق اميالي وانبذ ما لا غرض لي فيهِ. انا لا اخفي دهشتي من هذا الاتهام الذي تكرر من المنتقد في

مواضع من كتابته مع ردي هذا التكذيب الى نقد تاريخي اساسهُ ضعف راوي القصة المبالغ فيها كالاتليدي مثلاً او ضعف سندها في رواية الثقة كقول الطبري (احسبهُ فلان وقولهُ فيهِ نظر) او توهين الرواية وتمريضها بتأخيرها واقصائها كما فعل الطبري احياناً فيها. نقد تاريخي يعززهُ نقد عقلي يكفي لتغيير المنصوص المحكم والتأويل فيهِ

فهل إذا عمت على المنتقد اطراح اقوال المؤرخين طهريًّا واتهامهم بالاغراق وعدم التروي والتبيُّن منهم شديد لاسابيب أكون قد اثبت لهم العصمة فلا املك ان اطرح روايه من رواياتهم اهملاً من قولهم دلُّوا هم على ضعفه!! لا اظن ان هذا يقضي ذاك ولا يستلزمهُ. ثم ما هذا القول بالهوى والغرض الذي قذف بهِ ابن خلدون قبلي وجهني به مراراً؟ أإن قلت ان هذه القصة من المرويات الضعيفة بنفسها ورواتها او قال ابن خلدون انها غير معقولة لكيت وكيت نكون قائلين بالهوى وذوي اغراض!! ان كان ذلك فلا حيلة ان يحكم عقلهُ ان يتحمل هذه التهمة فانها اخف من تصديق حادثة يتشبث الراوي بان يجعلها محور روايتهُ ولو لم تسلم.

انما سقت اسئلتي ونقدي من نص الحادثة ولفظها الذي يرويها بهِ ناقلوها واستخلصت وسائل التضعيف من صيغ ثقات الرواة واثباتهم فلن تقنعني بعد هذا تلك الاجابة الغرضية التي يجود بها عليَّ المنتقد ناسياً ما نصوهُ وفصلوهُ

واعجب ما في امر المنتقد — وفقهُ الله — انهُ يشطر تارة في اتباع المؤرخين ويرى كثرة عددهم قوة لهُ ويعد انفراد ابن خلدون ضعفاً ثم هو بعد قليل يسمي نقول هؤلاء الكثيرين مراعم فيقول عن مجالس السمر التي ذكروها «انها لم تكن كثيرة التعداد كما يزعمون وان هرون لم يكن يطيق صبراً على بعاد اختهِ». وقد وُفق — ايدهُ الله — الى هذا التعمق في التاريخ الذي عرف منهُ «ان هذه المجالس انما كانت مجالس سمر ليلية اشبه بسهرات عائلية» وان هذا التعمق الذي ينقضي هو الذي جعل الامر يشكل عليَّ. مع نص رواة الحادثة الذين يعتز بهم ان الرشيد كان يقوم عن المجلس وجعفر واختهُ نيام. وهذا التعلق والهيام الشديد من الرشيد بجاريته هو اساس القصة الذي جعلهُ رواتها السبب لعقد الرشيد لجعفر عليها

وفرضوا انهُ الضرورة التي جمعت (المطلين) حتى صارا عاشقين وجميع المؤرخين الذين استظهر بكثرتهم يرون هذا الكلف الشديد بالعباسة وشدة الحاجة اليها هو لب القصة وحجر الاساس فيها . فما هذا التعمق الذي يخلق ردود فعلية وهمية يدفع بها نقداً تاريخياً بعد منتقدهُ الذي يسألك الجواب اليه قائلاً لغرضه وهواهُ ؟

ولقد رد المنتقد على سؤالي عن منزة العباسة التي لم يذكرها احد من المؤرخين بأن ذلك راجع الى ان العرب لم يعدوا المرأة اعتباراً كما يعتبرها الافرنج بقول الخليفة ما قال حر وليس ثمة ما يدل على ان العباسة كانت تعد من المفترض ولا تسيب المرأة وحظها في التاريخ العربي لطالما عثر الوضيع والاسفل وأسهبت عما يجل . ولكي اعيد سؤالي حاصل على عرض ما ذكر لم لم يذكر للعباسة من الذكر ما لعليه اختها عند هؤلاء العرب الذين لم يعدوا المرأة اعتباراً مع ما للرشيد من كبير العناية بالعباسة ، اسمح لي يا سيدي ان اقول لك ان الجدل التاريخي ليس اساسهُ العروض الممكنة لانهُ وصف ما كان فعلاً لا ما كان يمكن ان يكون

وان استيعابك جزئيات التاريخ وكلياتهِ الذي لم اوفق اليهِ لمعرفته بالعباسة اثناء حملها هذا الاستيعاب لم يوفقك الى غرض مقنع في الرد . فتهب انها كانت تسكن البصرة لا طرف بغداد فان كلف الرشيد بها الذي عده من اسظهر ما يهم من المؤرخين اساساً للقصة تحوج الرشيد الى احضارها على جناح السرعة (كما يقال) فيحضرها على حيل البريد في ساعات ان صعب عليهِ ان تكون قريبة منه اذا لم يكن يصبر عنها كما ذكروا . فمن اين لك ما تقين من كلف الرشيد بها بقولك بانهُ لم يكن كلفاً بحالتها الدرجة التي يتصورها المعض » وفرصت لتقويه ذلك كثرة مشاغلهِ على كاهلهِ الواسع ؟ لقد سمعت الذين ذكروا كلف الرشيد بها بعضاً فهات ات بعضاً من المؤرخين رواة الحادثة لم يذكر هذا الكلام

ولقد ذكرت يا سيدي ان الرشيد كان يعرف ان العمد كان يبيح للبرمكي « اداء واجب الزوجية » وانهُ اعتصم بسلطتهِ فأمرهُ ألا يفعل فلست عن هذا اسألك فاقرأ سؤالي ثانية وأحب عليهِ فانك ستجد اني اعجب من ان يحول الرشيد بين اخته وحظها الطبيعي من الحياة بعقد لا رواج معهُ يحرم عليها بهِ ولا شك لرواج الشرعي الفعلي ولا أخال هذه الحارمة المكتملة الخلق والخلق كما ذكرت

ترضى لنفسها ذلك ولا بد في الامر من رأيها كما تعلم لاسيما وقضاة الرشيد أساطين فقهاء الحنفية الذين لا يرون ولاية الاحبار على الكبيرة

ثم ما هذا التناقض الغريب ؟ . لقد اثبت ان جعفراً كان يدخل عليها ويتصرف في حوائجها وينصدق بمفاتيح قصرها اذا ما جار الفسق وقلت اذا راعينا ما بين الرشيد وجعفر من الرضع لا نعجب من رؤية احدهما منهما بيد الآخر فاذا كان ذلك كله واقعاً فما للرشيد لا له موصل الى البؤرة بيد العقد العجيب ومفاتيح قصر اخته التي لا تساكنه مع جعفر . ثم ما العمق والاستيعاب الجزئيين التاريخ وكلياته قد جعلا مسألة العقد التي هي اساس القصة عبثاً وعجباً وبرهاناً على اختلاقها

ثم اني والله ليدهشني منك وأنت من انت في التاريخ ان تقرأ عبارتي الاخيرة التي نقلتها عن الطبري وتراها حجة لك (من حيث لا ادري) لانها اثبت لها ولداً وتتغافل عن سطور منصوصة في المقال هي موضع الفائدة من النقل هي قول الطبري (واراد الرشيد فيما زعم قتل الصبي) . وعدّهُ الحادثة آخر ما ذكر من الاسباب . وتجهيله المروي عنه بقوله « احسبهُ فلان » . ومخالفة غيره في عدد الاولاد . وكل ذلك لو علمت مما يقيم له العارفون باساليب الرواية ومصطلحها اكبر وزن

فعسى ان يغير حضرة المنتقد وجهة نظره في اساليب القوم وقواعد الجدل ويعلم ان النقد التاريخي لا يكفي فيه الغرض والتقدير ولا تغني كثرة عدد الرواة شيئاً في قوة الرواية وضعفها بعد ذكر اساليب التضعيف وصبغ التوهين وارجو ان يضم الى تعمقه في التاريخ واستيعابه لكلياته وجزئياته الدقة الضرورية في فهم نصوصه وعباراته ولا يعد عرض الرواية على العقل قولاً بالهوى ولعباً بالحقيقة فانه ان فعل ذلك كان أعدل رداً واحكم اسلوباً وأدق حكماً . وليعلم ان ما يفرضهُ المتخيل ليخلق هيكل قصة لا يكفي المؤرخ لينقد حادثة والسلام

امين الخولي

المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

(المقتطف) لا نرى موجباً للاستمرار في هذه المناظرة وحبذا لو عاد حضرة القاضي [illegible]

البرامكة بحادثة العباسة مستدلاً عليها بما يستدلُّ بهِ علماءُ التاريخ . ولما قلنا في تقريظ الرواية ان نكبة البرامكة من الحوادث التي اختلف المؤرخون في اسبابها كان القائم في ذهننا مما قرأناهُ عرضاً في مختلف التواريخ ان قصة العباسة موضوعة وقد اقحمت لغرض سياسي ولكن لم نتمكن من جمع الادلة التي تؤيد ذلك او تنفيهِ

منارة الاسكندرية

سادتي الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الزاهر

اذا ذكرت عجائب الدنيا القديمة كانت منارة الاسكندرية في مقدمة هذه العجائب ونكاد لم نقف على اصح الاقوال فيها وفي الغاية التي عملت من اجلها . والعلامة المقريزي هو الذي اشبع القول فيها في خططهِ اكثر من سواه فيما نعلم ومع ذلك فان في قولهِ ما لا يصح الركون اليهِ ولا التعويل عليهِ اذ هو بالخرافة اشبه منهُ بالحقيقة كقولهِ

« ان الاسكندر جعلها — اي المنارة — مرقباً وانهُ جعلها على كرسي من »
« زجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل »
« في البحر من البر وجعل على اعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قد »
« اشار بسبابتهِ من يدهِ اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك الى ان قال »
« ومنها تمثال يشير بيدهِ الى البحر اذا صار العدو منهُ على نحو من ليلة فاذا »
« دنا وجاز ان يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من »
« مسافة ميلين او ثلاثة فيعلم اهل المدينة ان العدو قد دنا منهم فيرمقونهُ بابصارهم »
« ومنها تمثال كلما مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا لهُ صوتاً بخلاف ما صوت »
« في الساعة التي قبلها وصوتهُ مطرب »

وقال بعد ذلك اقوالاً يفهم منها انها كانت باقية تؤدي عملها لزمن الخليفة عبد الملك بن مروان الاموي وان ملك الروم المعاصر لهُ احتال عليهِ بحيلة حتى هدمها وبطل مفعول المرآة من ذلك الوقت وبعد ذلك انكشفت الحيلة للخليفة فندم حيث لا ينفعهُ الندم

من مقالة المقريزي عن عظم المنارة وارتفاعها في الهواء وما كانت تشتمل عليه من المباني فهو فوق حد التصديق كما نبهنا عليه في الصحيفة ٢٥١ وما بعدها جزء طبع مصر سنة ١٣٢٧ هجريه ا

غير انه مهما نتم عمتا في ذلك من المبالغة فان لمنارة الاسكندرية شأناً في التاريخ ولا عبرة بعدد احدى العجائب السبع القديمة بيد انه لا يوجد الآن بالاسكندرية اثر ظاهر او خفي يدل على المكان الذي كانت به من المدينة ولا نظن علماء الآثار والتاريخ اغفلوا البحث عن هذا المكان والمعروف ان المقتطف في مقدمة العلماء الذين عنوا بذلك العناية التامة ولديهم الانباء الصحيحة عن هذه المنارة والنقطة التي كانت بها من المدينة الحالية فان تكرمتم على قراء المقتطف بكلمة تاريخية عن المنارة ومنشئها وما غرضه منها والزمن الذي تلاشت فيه وسبب هذا التلاشي تكونوا اديتم اعظم خدمة للوطن والتاريخ

وان وجدتم في مجال القول متسعاً لذكر كلمة اخرى عن عمود السواري تكونوا قمتم باداء ما لهُ من حق الشفعة الذي لهُ بسبب الجوار فضلاً عما لهُ من الشأن العظيم وتحسنوا علماء التاريخ بشأنه تخبطهم في المنارة واملنا كبير في قراءة هاتين الكلمتين العظيمتين في المقتطف الذي يصدر في اول دسمبر المقبل وما ذلك على همتكم وسعة اطلاعكم بعزيز طسطا محمد حافظ

(المقتطف) كتبنا عن هذه المنارة كتابة مختصرة في مقتطف ابريل سنة ٢٨٨٤ . وكلام ياقوت الحموي عنها في معجم البلدان حسن جداً لانهُ رآها وقاسها ورسمها وقد كانت مبنية شرقي المنارة الحالية على ٣٠٣٠ قدماً منها ومحلها برج الظفر (البرج الزفر) الذي هدم وبنيت محلهُ طابية قائد بك . وترون كلاماً مسهباً عن هذه المنارة جامعاً بين الغث والسمين في الجزء السابع من الخطط التوفيقية صفحة ٣٨ و٣٩ . ومن ذلك قولهُ « ان المنارة تخربت في القرن الحادي عشر ومحلها الآن البرج الزفر الذي هو محل طابية قائد بك الذي في النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس ا. وما ذكرهُ استرابون وغيرهُ يؤيد ذلك فقد ذكر ما معناهُ ان النهاية الشرقية من الجزيرة عبارة عن صخرة محاطة من جميع جهاتها والمنارة فوقها عبارة عن برج من جملة طبقات مبنية بغاية الاحكام من الرخام الابيض »